دراسات في سكان المملكة العربية السعودية، مصادر المعلومات والبيانات السكانية

تأليف: د. محمد الربدي

مراجعة: أ. د. رشود بن محمد الخريف
قسم الجغرافيا - كلية الآداب - جامعة الملك سعود

أولاً: موضوع الكتاب وأهدافه

لا شك أن موضوع الكتاب يحظى بأهمية كبيرة؛ لما للمعرفة السكانية من أهمية في حياة الإنسان من النواحي الاجتماعية والاقتصادية والجغرافية. بالإضافة إلى ذلك، تؤثر المتغيرات السكانية في خصائص المجتمع، وقيمه وتقاليده، والسياسات التي تتخذها الحكومات للتدخل في حل المشكلاته. وفي الحقيقة، لايمكن فهم بناء مجتمع ما أو حل مشكلاته والتخطيط لتنميته وتطوره بمعزل عن المعرفة السكانية والتوزيع الجغرافي للسكان وسماتهم الديموغرافية والاجتماعية والاقتصادية. ففي حين تؤثر المتغيرات السكانية على التنمية والبيئة تأثيرًا واضحًا، فإن التنمية -بدورها- تؤثر في كثير من الجوانب السكانية المهمة؛ فعلى سبيل المثال، يعتمد التخطيط للتعليم، والصحة، والقوى العاملة اعتمادًا كبيرًا على البيانات المتعلقة بخصائص السكان وتوزيعهم الجغرافي ومعدلات نموهم.

ويعود هذا الاهتمام المتزايد بالدراسات السكانية خلال العقود الماضية إلى العديد من العوامل، منها:

- التزايد السكاني السريع الذي حدث خلال القرنين الماضيين، خاصة القرن الرابع عشر الهجري/ العشرين الميلادي الذي نتج عنه بعض التخوف من نتائج النمو السكاني المرتفع، الأمر الذي انعكس في صدور كتب متعددة تحذر من "الانفجار السكاني" أو "القنبلة السكانية".

- تطور معظم المجتمعات ووعيها بأهمية التخطيط، ومن ثم ظهور الخطط التنموية الشاملة، مما أدى إلى تزايد الحاجة إلى الإحصاءات والدراسات السكانية، ومن ثم زيادة الطلب على المتخصصين في هذا المجال.

- قوة الإحساس بوجود علاقة وطيدة ومتشابكة بين السكان والتنمية والبيئة، انعكس في عقد المؤتمرات المحلية والإقليمية والدولية، من بخارست في عام ١٩٧٤م (١٣٧٤هـ) إلى مؤتمر القاهرة للسكان والتنمية في عام ١٩٩٤م (١٤١٤هـ) وما بعده. ولعل قرار مجلس الوزراء الموقر في المملكة العربية السعودية بإنشاء لجنة وطنية للسكان يعكس إحساس المملكة بأهمية المتغيرات السكانية وارتباطها بالتنمية.

- أدى انخفاض معدلات النمو السكاني إلى الصفر (أو أقل) في بعض الدول المتقدمة إلى زيادة الاهتمام بالنتائج السلبية المترتبة على انخفاظ معدلات النمو دون الصفر، ومن ثم حفّزَ دراسة تأثيره على مستقبل النمو الاقتصادي في تلك الدول.
- يسهم الدعم الكبير من قبل المنظمات الدولية، مثل الأمم المتحدة والبنك الدولي ونحوهما وكذلك المؤسسات المحلية والإقليمية، في تشجيع عمليات جمع البيانات وإجراء الدراسات السكانية.

وتجدر الإشارة إلى أنه لا ينفرد تخصص واحد أو علم من العلوم بدراسة السكان، بل يشترك العديد من التخصصات في دراسة موضوع السكان من زوايا مختلفة، وربما لأغراض متفاوتة، لتسهم جميعها في فهم موضوع السكان بأبعاده المتعددة، ومنها: الجغرافيا، والاقتصاد، والاجتماع، والإنثربولوجيا، والتاريخ، والطب، وعلم النفس.

وعلى أي حال، فقد حدد مؤلف الكتاب الذي نحن بصدد مراجعته، بعض الأهداف التي يمكن إيجازها فيما يلي:

١ - إلقاء الضوء على أهم مصادر المعلومات والدراسات السكانية في المملكة العربية السعودية.

٢ - تعريف المهتمين بالشؤون والدراسات السكانية بأهم المصادر السكانية.

٣ - التعريف بأهمية المصادر التاريخية والمعاجم وكتب الرحالة وتقاريرهم بوصفها أحد المصادر التي يمكن الاستفادة منها في الدراسات السكانية.

مجلة فصلية محكمة تصدر عن دارة الملك عبدالعزيز
العدد الرابع شوال ١٤٢٩هـ، السنة الرابعة والثلاثون
الدارة

٤ - توضيح جهود الباحثين وإسهامهم في الدراسات والبحوث السكانية.

٥ - التعرف على المحاولات الأولى لإجراء تعدادات السكان في المملكة والعقبات التي واجهت ذلك.

٦ - عرض بعض بيانات التعدادات السكانية والبحوث الديموغرافية التي نفذت خلال العقدين الماضيين.

ثانيًا: مصادر بيانات الكتاب

اعتمد المؤلف على العديد من المصادر التاريخية والجغرافية والسكانية وغيرها. وتأتي التعدادات السكانية الثلاثة في مقدمتها، وهي: تعدادات السكان والمساكن للأعوام ١٣٩٤هـ، و١٤١٣هـ، و١٤٢٥هـ. كما استفاد من قواعد البيانات التي توفرها المنظمات الدولية وخاصة الأمم المتحدة بلجانها المختلفة. كما استعان ببعض كتب الرحالة الذين زاروا الجزيرة العربية أو أجزاء منها، مما أسهم في إثراء المعلومات السكانية عن المملكة العربية السعودية.

ثالثًا: بعض الملحوظات المنهجية والتنظيمية

يمكن إيجاز بعض الملحوظات الإيجابية والسلبية على حد سواء، وذلك حول المنهجية وبعض النواحي العلمية والتنظيمية فيما يلي:

١ - وُفِّق الباحث في تنظيم مادة الكتاب؛ فاشتمل الكتاب على ثلاثة أقسام رئيسة يختص كل منها بأحد الموضوعات التالية:

أ - مصادر المعلومات السكانية.

ب - التعدادات السكانية والبحوث الديموغرافية.

ج - قاعدة بيانات تحتوي على جداول متنوعة تهتم بنمو السكان وتوزيعهم وخصائصهم.

٢ - اعتمد الباحث منهجًا مناسبًا لدراسته السكانية، وحرص على المعلومات السكانية بكل حرص وأمانة.

٣ - حرص الباحث على أن يكون الكتاب شاملاً لكثير من الإحصاءات من مصادر متعددة، مما جعل الكتاب مرجعًا أكثر من كونه كتابًا جامعيًا.

٤ - اتسم الكتاب بشموليته للموضوعات السكانية المهمة؛ فقد اشتمل على النمو السكاني وتطور أعداد السكان، ثم انتقل إلى التوزيع الجغرافي للسكان، وبعد ذلك تناول تركيب السكان الديموغرافي وخصائصهم الاجتماعية، بالإضافة إلى التحضر وسكان المدن.

٥ - من الواضح أن العنوان لا ينطبق على المحتوى؛ فالعنوان يشير إلى أن الكتاب دراسات في سكان المملكة، في حين أن الكتاب وصف للوضع السكاني حسب ما يتوافر من معلومات. باختصار فإن العنوان يُعطي انطباعًا بأن الكتاب دراسات علمية متخصصة في موضوعات سكانية مختلفة، وهو - في الواقع - خلاف ذلك.

٦ - على الرغم من جهد الباحث في رصد الدراسات السكانية التي صدرت خلال الفترة السابقة لإعداد

كتابه، إلا أنه أهمل - دون قصد - بعض الدراسات التي صدرت في الفترة التي اهتم بها المؤلف.

٧ - على الرغم من حرص الباحث على توثيق المعلومة التي يستخدمها، إلا أنه لم يضع مصادر معلومات الأشكال والخرائط، ظنًا منه أن القارئ سيكتشف أنها اعتمدت على الجداول التي سبقتها. ولكن من أصول الكتابة العلمية أن يحدد الباحث مصدر معلومات كل شكل أو خريطة، إلا إذا اعتمد على بيانات قام الباحث بجمعها؛ فعلى سبيل المثال، لا يجب وضع مصدر البيانات لكل شكل أو خريطة إذا كانت الدراسة تعتمد على مسح ميداني قام الباحث بإجرائه.

٨ - اعتمد الباحث على بعض بيانات الأمم المتحدة دون مراعاة توافقها مع بيانات التعدادات السكانية؛ فعلى سبيل المثل، شكل (٧/٢) يُشير إلى أن نسبة التحضر تصل إلى ٥٠٪ في عام ١٣٩٤هـ، في حين أن تعداد السكان في ذلك العام يُشير إلى أن نسبة التحضر لا تتجاوز ٤٦٪، على أساس أن المدينة هي المسمى السكاني الذي يصل عدد سكانه إلى ٥٠٠٠ نسمة أو أكثر، وذلك كما ورد في "أطلس السكان في المملكة" الصادر في عام ١٤٠١هـ.

٩ - تميز الكتاب بسلامة اللغة وسهولة الأسلوب الذي كُتب به، وهذه من الأمور الإيجابية التي تُحسب للمؤلف.

خاتمة:

الكتاب جيد بوجه عام، ويتناول موضوعًا في غاية الأهمية. ونحن في حاجة إلى كتاب شامل يسوغ ويحلل التغيرات السكانية التي شهدها المجتمع السعودي؛ فالكتاب يُعد إضافة قيمة للمكتبة السعودية بوجه خاص، والمكتبة العربية بوجه عام. وقد استطاع الباحث في هذا الكتاب أن يكتب تحليلاً جيدًا ومفيدًا، وعلاوة على ذلك، تميز الكتاب بسلامة اللغة التي كُتب بها، مع تجنب الحشو والتكرار، كما ذُكر آنفًا.

ولكن لا يزال موضوع السكان في حاجة إلى مزيد من الدراسات في مجالات مختلفة ذات صلة بالتاريخ والآثار وغيرهما. ويمكن الإشارة بإيجاز إلى بعض هذه المجالات فيما يلي:

١ - لا يزال مجال الديموغرافيا التاريخية في المملكة العربية السعودية بكرًا وخصبًا لإجراء الدراسات المتعلقة بأعداد السكان وخصائصهم الديموغرافية ومعدلات نموهم في ضوء الأحداث التاريخية التي مرت بها المنطقة؛ فالدراسات في هذا المجال قليلة جدًا، فهناك دراسة قديمة عن "معدل المواليد في عهد الرسول ﷺ"، بالإضافة إلى بعض الدراسات التي قدمت في ندوة تاريخ الجزيرة العربية أو بعض الرسائل العلمية المحدودة. وفي كل الأحوال، هناك حاجة إلى إرساء منهجية واضحة المعالم لدراسة الديموغرافيا التاريخية في البلاد العربية عامة وفي المملكة العربية السعودية خاصة.

٢ - لم تظهر دراسات ديموغرافية تقوم على ما اكتشف في بعض المواقع الآثارية المهمة مثل "الفاو" و"الربذة" و"العلا" ونحوها من المواضع. ولا أعلم، هل هذا الوضع عام في البلدان العربية المجاورة، مثل الأردن وسوريا ومصر، أم أنه خاص بالوضع في المملكة؟

٣ - لا بد من الاهتمام بما يتوصل إليه الباحثون مثل الرحالة الشيخ عبدالله الشايع عن طرق القوافل القديمة وربطه بمراكز العمران القديمة، ومن ثم دراستها من النواحي السكانية والاقتصادية والاجتماعية.

٤ - هناك حاجة ماسة إلى الدراسات التحليلية المعمقة في مجال السكان وغيره من العلوم الاجتماعية والتاريخية؛ إذ إن معظم الدراسات المتوافرة تدخل ضمن الدراسات الوصفية. وكما هو معروف، فإن الإبداع والأصالة وكذلك الإضافة العلمية تحتاج إلى التحليل المعمق، وليس الوصف العام الذي لا يحتاج إلى مهارات بحثية كبيرة. وأعتقد أن كثيرًا من البحوث في مجال العلوم الاجتماعية عامة لا يتسم بالإبداع، ولا يضيف الكثير إلى تلك العلوم؛ ويعود ذلك بالطبع إلى ضعف الدعم المادي للبحث في هذه العلوم وتناقص إدراك أهميتها ودورها في الحياة. وفي هذا تجاهل كبير لأهميتها ودورها العظيم في فهم المجتمع وحل المشكلات التي يواجهها سواء في الحاضر أو في المستقبل.